

## المكان وتجلياته النفسية في قصيدة (غريب على الخليج) لبدر شاكر السياب

م.د. سعد عبداللطيف جدوع  
جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

### ملخص البحث

تتطرق دراسة بحثنا (المكان وتجلياته النفسية في قصيدة (غريب على الخليج) لبدر شاكر السياب) من اعتبارات عدة تقف في مقدمتها شهرة الشاعر التي حلقت في فضاء الأدب بعيداً؛ إذ وصلت كل الأصدااء، وللميل الشديد لأشعاره التي ترتبط بالنفس ارتباطاً وثيقاً؛ لما تعكسه هذه الأشعار من معاني تعبر تجسد الصلة بالعمق النفسي؛ لهذه الأسباب أثرت دراسة الحيز المكاني الذي يعبر من خلاله عن حيز نفسي معين. وجاءت طريقة الدراسة لهذا البحث مفصلة على ثلاثة محاور يسبقها تمهيد يُعرف فيه بالمكان، ويشمل ذكر أبيات القصيدة، وفلك القصيدة الذي دارت فيه، أما المحور الأول منه فيشمل الأدب وعلاقته بعلم النفس، وأما المحور الثاني فدرس المكان بنوعيه المغلق والمفتوح، أما المحور الثالث فدرس دلالة المكان النفسية وآثارها الواضحة في أشعار بدر شاكر السياب.

### المكان وتجلياته النفسية في قصيدة (غريب على الخليج) لبدر شاكر السياب

لا يُستطاع تفهم أو تفسير العلاقة النفسية للمكان إلا من خلال الحيز الذي يشغله في النفس الإنسانية؛ فالمكان يمثل محل الوجود الحقيقي للإنسان منذ أن وجد، فمثل له الألفة كما مثل له الغرائبية، وهذا ما يثبتته التحليل النفسي للأدب؛ فالعلاقة بين الأدب وعلم النفس إلى اليوم لازالت تنير الكثير من الخفايا النفسية، وهو يعيد بناء العلاقات القائمة بين أطراف العملية التواصلية من مُرسل ورسالة ومُرسل إليه، وهذا ما تثبتته الدراسات التي عنيت بدراسة الأدب من وجهة نظر نفسية بدءاً من فرويد الذي أعاد قراءة وفحص النصوص من خلال العلاقة بين النفس والأدب بطريقته التي تجمع بين العلوم الإنسانية بمعنى أنه استحضر كل العلاقات التي كونت درساً نصياً جديداً على أيدي علماء النفس يسمح بالاهتمام بملف العمل الإبداعي والآثار النفسية التي تشع عنه<sup>(١)</sup>.

إن العنوان الذي نحن بصدد دراسته لا يفصح عن مضمونه إلا إذا تتبعنا المناهج الدراسية الحديثة في النقد التي عنيت بالدراسة النصية السيميائية العلاماتية بدءاً من البنيوية والتفكيكية وصولاً إلى منهج القراءة والتلقي وأخذ كل العلاقات السيميائية التي توصل إلى الدلالة التي تتجاوز المؤلف، لاسيما ونحن نحاول فك شفرات النص من خلال قراءة جديدة تحاول إظهار معنى آخر ننتبناه في هذا البحث، فعمدنا إلى تحديد النموذج المكاني في النص المدروس من خلال البنية الكلية له والبعد الجمالي المكتسب داخل البنية الشعرية، واستحضار الكثير من المفاهيم المتعلقة بمفهوم البناء الفني محاولين بذلك إدراج القارئ أي المتلقي في الظاهرة الأدبية وجعله قطباً محورياً

(١) ينظر: الرواية والتحليل النفسي، قراءة من منظور التحليل النفسي: ١١.

ومشاركاً في الوصول إلى إيجاد الدلالة أو التفكير في إيجادها إلى درجة هامة في التحاليل والدراسة، وشجع على هذا ما طرحه بعض النقاد في هذا المسار<sup>(١)</sup>. إن توزيع الوقائع على مجرى إحداث التوازن بين المشاهد والتكرار والتناوب بين الموضوعات الدالة هي التي تشكل الأثر في نقطة البدء؛ إذ تؤكد (( العلاقة الضمنية أو الصريحة التي يقيمها المؤلف بين الراوي والقارئ ))<sup>(٢)</sup>، ومن هنا تتضح علاقة الإنسان بالمكان في إطار الخبرة المباشرة والإدراك الحسي والسيطرة على أغلب التفاصيل، والارتباط بالمكان من لحظة الوجود حتى النهاية في نص ( غريب على الخليج)؛ إذ يتجلى المكان عنصراً رئيساً يوثق علاقة (الأنا) بالعالم الخارجي<sup>(٣)</sup>، فالمكان (( يجسد الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك في الشخصيات وتتفاعل معه ))<sup>(٤)</sup>، وإن أي نص أدبي مهما كان جنسه لا بد أن يتوافر على هذا؛ لذلك يمكن أن نعد المكان متخيلاً يعبر عنه بألفاظ وصيغ ورؤى وصور خيالية تتيحها مخيلة المبدع التي تعمل على رسم حدوده وملامحه.

المكان تطراً عليه متغيرات وإضافات في الفكر الإنساني يتحول معها المكان من معطى بدائي إلى معطى ثقافي ومن ثم مكان جمالي فني<sup>(٥)</sup>، والمكان في قصيدة غريب على الخليج يمثل المحور الأساسي فيها؛ لأن الشاعر يستدعيه بدلالاته التي تعبر عن معنى نفسي معين، ثم يكسبه طاقة إيحائية تحوله من فضاء مساحي إلى

(١) ينظر: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة: ١١.

(٢) عالم الرواية: ٧٢.

(٣) ينظر: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة: ٣٤٦.

(٤) جماليات التشكيل الروائي: ٢٢٤.

(٥) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ١٨٤.

بؤرة دلالية مشعة<sup>(١)</sup>، وتبقى أبيات القصيدة رحلة في الزمان والمكان على حد سواء، وزمانها ليس الزمان الحقيقي ومكانها ليس المكان الحقيقي وإن حاول الشاعر أن يضفي صفة الواقعية عليها.

والمكان في هذه القصيدة له أبعاده التي تميزه بأهميته البالغة؛ لكونه يكشف عن نفسية الشاعر ومدى ارتباطها بالمكان، وبذلك يعبر عن وسط مثالي يتصف بطابع خارجية أجزائه وفيه يتجدد موضع ومحل إدراكنا، فهو بالتالي يحتوي على كل الامتدادات المتناهية في نظام تساوق الأشياء في هذا الوجود ومعيتها الحضورية في تلاحم وممارسة تجاوز واقتران<sup>(٢)</sup>، والمكان في غريب على الخليج يجعلها بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها، وهو فيها يحل محل الديكور والخشبة في المسرح؛ إذ أي حدث لا يمكن تصويره دون إطار معين، ويبقى المكان وسط يشتمل على الأشياء<sup>(٣)</sup>.

قد أضفى بدر شاكر السياب على المكان في قصيدته صفة تتعدى التحديد، إذ وفر له دلالة توافق أفكاره ورؤاه التي سعى لإيصالها إلى المتلقي من خلال تلك الدلالة، ومن هنا نستطيع القول بأن المكان يبنى على قصدية ويكون التخيل عاملاً أساسياً في الوصول إليها<sup>(٤)</sup>، وهو يتماثل مع العالم الواقعي إلى حد ما؛ ليوصل الإحساس بمجرى الحياة، فيضاعف بذلك التواصل والامتداد؛ لهذا يحاول الكثير من

(١) ينظر: في الطريق إلى النص: ١٤.

(٢) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ١٣.

(٣) ينظر: الرواية والتحليل النصي: ١٥٥.

(٤) ينظر: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر: ٨٠.

المبدعين بناء المكان في أعمالهم لتقديم إبداعاتهم بوصفها كائنات وإبداعات موجودة<sup>(١)</sup>، وهذا ما سيتضح من خلال محاور البحث التي رسمت له.

### غريب على الخليج

الريح تلهث بالهجير كالجثام على الأصيل  
وعلى الضلوع تظل تطوى أو تنتشر للرحيل  
زحم الخليج بهن مكتدحون جو ابو بحار  
من كل حاف نصف عاري  
وعلى الرمال على الخليج  
جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج  
ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج  
أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج  
صوت تفجر في قرارة نفسي التكلّي: عراق  
كالمد يصعد كالسحابة كالدموع إلى العيون  
الريح تصرخ بي: عراق  
والموج يعول بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق  
البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون  
والبحر دونك يا عراق  
بالأمس حين مررت بالمقهى، سمعتك يا عراق...  
وكنّت دورة أسطوانة  
هي دورة الأفلاك من عمري، تكور لي زمانه

(١) ينظر: ما تخفيه القراءة- دراسات في الرواية والقصة القصيرة: ١٧١.

في لحظتين من الزمان، وإن تكن فقدت مكانه

هي وجه أُمي في الظلام

وصوتها ينزلقام مع الرؤى حتى أنام؛

وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهم مع الغروب

فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب

من الدروب

وهي المفلية العجوز وما توشوش عن ((حزام))

وكيف شق القبر عنه أمام ((عفراء)) الجميلة

فاحتازها .. إلا جديله

زهراء أنت أتذكرين

تتورنا الوهاج وتزحمه أكف المصطلين؟

وحديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين؟

ووراء باب كالقضاء

قد أوصدته على النساء

أيدٍ تطاع بما تشاء لأنها أيدي رجال

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال

أفتذكرين؟ تذكرين.

سعداء كنا قانعين

بذلك القصص الحزين لأنه قصص النساء

حشد من الحيوانات والأزمان كنا عنفوانه

كنا مداريه اللذين بينهما كيانه

أفليس ذاك سوى هباء؟  
حلم ودورة أسطوانة؟  
إن كان كل هذا كل ما يبقى فأين هو العزاء؟  
أحببت فيك عراق روعي أو حبيبك أنت فيه  
يا أنتما مصباح روعي أنتما - أتى المساء  
والليل أطبق فلتعشا في دجاء فلا أتيه.  
لو جئت في البلد الغريب إلي ما كمل اللقاء!  
الملتقى بك والعراق على يدي.. هو اللقاء!  
شوق يخض دمي إليه كأن كل دمي اشتها،  
جوع إليه.. كجوع كل دم الغريق إلى الهواء  
شوق الجنين إذا اشرب من الظلام إلى الولادة  
إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون!  
أيخون إنسان بلاده؟  
إن خان معنى أن يكون فكيف يمكن أن يكون؟  
الشمس أجمل في بلادي من سواها والظلام  
حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق.  
وا حسرتاه متى أنام  
فأحس أن على الوسادة  
من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك يا عراق  
بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة  
غنيت تربتك الحبيبة

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه  
فسمعت وقع خطى الجياح تسير تدمى من عثار  
فتذر في عيني منك ومن مناسمها، غبار  
مازلت أضرب مترب القدمين أشعث في الدروب  
تحت الشمس الأجنبية  
متخافق الأطمار أبسط بالسؤال يدا ندية  
صفراء من ذل حمى: ذل شحاذ غريب  
بين العيون الأجنبية  
بين احتقار وانتهار وازورار أو (خطيه)  
والموت أهون من (خطيه)  
من ذلك الإشفاق تعصره العيون الأجنبية  
قطرات ماء معدنية!  
فلتتطفي، يا أنت يا قطرات، يا دم يا .. نقود،  
يا ريح، يا إبرا تخطط لي الشراع- متى أعود  
إلى العراق؟ متى أعود؟  
يا لمعة الأمواج رنحهن مجداف يرود  
بي الخليج ويا كواكبه الكبيرة.. يا نقود!  
ليت السفائن لا تقاضي راكبيها عن سفار  
أو ليت أن الأرض كالأفق العريض بلا بحار!  
مازلت أنقص يا نقود، بكن من مدد اغترابي  
مازلت أوقد بالتماعتكن نافذتي وبابي



في الضفة الأخرى هناك فحثيني يأنقود  
متى أعود؟ متى أعود؟  
أتراه يأزف قبل موتي ذلك اليوم السعيد  
سأفئق في ذاك الصباح، وفي المساء من السحاب  
كسر وفي النسمات برد مشبع بعطور آب  
وأزيح بالثوباء بقيا من نعاسي كالحجاب  
من الحرير، يشف عما لا يبين وما يبين:  
عما نسيت وكدت لا أنسى وشك في يقين  
وبضيء لي وأنا امد يدي لألبس من ثيابي  
ما كنت أبحث عنه في عتمات نفسي من جواب  
لم يملأ الفرح الخفي شعاب نفسي كالضباب  
اليوم واندفق السرور علي يفجأني أعود!  
وا حسرتاه.. فلن أعود إلى العراق! وهل يعود  
من كان تعوزه النقود؟ وكيف تدخر النقاد  
وأنت تأكل إذ تجوع؟ وأنت تتفق ما وجود  
به الكرام، على الطعام؟  
لبكين على العراق  
فما لديك سوى الدموع  
وسوى انتظارك، دون جدوى، للريح والقلوع!<sup>(١)</sup>

### مدار القصيدة

يبدأ الشاعر بوصف عام للمشهد الذي يعيشه في منتصف نهار شديد الحر والشمس لاهبة فيه فيعكس بذلك كابوسا يسيطر عليه، وبالأخص عندما يرى الأشرعة تطوى وتنتشر وهو غريب بعيد عن وطنه، وهو في حيرة من أمره لا يعرف ما ينتظره من أشياء، فقط يرى حركة السفن التي تملأ الخليج، والبحارة الذين يجهدون ليحركون هذه السفن، وهم حفاة وعراة يدللون على مدى الشقاء الذي هم فيه، كل هذا يجري وهذا الغريب يجلس على الرمال ينظر كل هذا الذي يحدث أمام ناظره يهدم أمله بالعودة فيزداد حزنه ويعلو صوت نحيبه وتبتل الأرض تحت قدميه من غزارة الدموع المنسكبة من عينيه فهي تشبه السحاب المثقل بمائها الذي بدأ ينهمر منها بغزارة، الأمر الذي يجعله يتصور أن الريح والمكان الذي هو فيه وحتى أمواج الخليج تصيح معه باسم ( العراق ) لكنه في أعماق نفسه وقرارة يقينها أن العراق بعيدا ويفصله عنه هذا البحر الواسع. وبينما يدرك هذا يعود ليجلس في أحد مقاهي الغربة فيستمع فيه لأغنية تدور حول (العراق) يعود بذكرياته القديمة المفقودة التي تذكر صور قديمة تذكره بوجه أمه حينما كانت تجلس بجانبه، ثم تذكره بصور الغروب في بلاده وما فيها من حكايات خرافة تجري على ألسنة العجائز لتخيف الأطفال، فيتذكر حكاية الأشباح التي تخرج بعد الغروب لتخطف الأطفال. ويتذكر كذلك القصة التي كانت تروى له عن عروة بن حزام الذي مات قبل أن يتمكن من الزواج من محبوبته عفراء، فينتقل الشاعر من هنا ليوجه خطابه إلى محبوبته التي يرى من خلالها صورة وطنه الذي يراه كالمصباح الذي ينير له دربه، وكان بلده العراق محور الحب كله، ويتعجب من الأشخاص الذين تسهل عليهم خيانة أوطانهم كيف تمكنوا وطاوعهم الهوى أن يقعوا في فعل الخيانة؟؟؟  
فالشاعر يفضل الشمس والظلام في بلاده العراق على غيرها لأنها تكون في بلاده، ثم

ينتقل ليصف لنا حال الغربة وحاله في تلك الغربة، ثم يعود مرة أخرى ليذكر بحنينه لوطنه، ويصور للمتلقي حاله المأساوي في الغربة والذي يستطيع أن يخلصه من تلك الحالة هي وحدها النقود التي باتت قليلة في يده، وهي سبب رئيس يساعده في العود إلى وطنه لكن قلتها جعلت عودته ضرباً من المستحيل.

## المحور الأول

### علاقة الأدب بعلم النفس

مما لا شك فيه أن الأدب بوجه عام والشعر بوجه خاص هو أدب اجتماعي؛ لأنه فن اجتماعي يعبر عن المجتمع بإسقاطاته وتجلياته إيجابية كانت أو سلبية، وهذا ما يعبر عن مخزن المجتمع من آلام وآمال، وما فيه من أحداث وهموم ومصاعب<sup>(١)</sup>، والقصيدة في حدود تشكلها الفني الجمالي ملزمة بكل هذا من أجل الوصول إلى حالة إشراق تخيلية تتوافر على طاقات تعبيرية صادقة للتمثيل والتعليل والتصوير؛ إذ هناك آفاق تنظيمية تتحكم بمتعتنا التي نستمتع فيها وفقاً لمقاييس اجتماعية معينة<sup>(٢)</sup>؛ ولأن الشعر موضوعه العاطفة التي تمثل حياة الإنسان وارتباطه بالبيئة وهو الذي يتضمن العلاقات الاجتماعية في التجمعات الإنسانية، وصراع الإنسان مع الطبيعة بقصد تطويعها لخدمته<sup>(٣)</sup>، وفي حقيقة التجارب الاجتماعية هي تجارب يستقيها الأديب من محيطه الاجتماعي من خلال تصوير الواقع ثم تجسيده بشكل يشوق ويستثير العاطفة<sup>(٤)</sup>، ومن هنا يتحدث الأدباء والشعراء من بينهم عن البؤس الذي يعانيه المجتمع، وعن الحرمان الذي انغمست فيه المجتمعات، ويتحدث عن الرفاهية وحياة

(١) ينظر: شعرية القراءة والتأويل في الرواية العربية الحديثة: ٣٤٢.

(٢) ينظر الرواية والتحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي: ٤١.

(٣) ينظر: فرضية الإنسان في الفلسفة وعلم النفس من العهد اليوناني إلى العهد المعاصر: ٢٣٧.

(٤) ينظر: قراءة في الكتابة النثوية، الرواية والقصة القصيرة المصرية: ١٥٦.

الحرية، فالأدب وفق هذا يتحدث عن التجارب الإنسانية سواء كانت اجتماعية أو نفسية ذاتية، ومن هنا تتضح علاقة الأدب بالنفس الإنسانية<sup>(١)</sup>، وإننا نرى أن الأدب بوجه عام والشعر بوجه خاص وثيقة صلة تربط الإنسان بمحيطه الاجتماعي، ويعبر عن النفس الإنسانية وما تشعره من أحاسيس، وهو لا يقف خارجا عن العلاقات الاجتماعية النفسية وهنا يأتي وعي الإنسان نتيجة لوجوده الاجتماعي على أساس جدلي يتم فيه تبادل التأثير والتأثير حيث لا يمكن فصل الإنسان أو عزله عن الأحداث التي يشارك بها مجتمعه؛ لأن الأدباء كثير ما يكتبون أعمالهم بشكل يرتبط بالقيم الاجتماعية التي يرتبط بها مجتمعهم بشكل يدفعهم إلى الأمام، وبهذا يكون الأدب تعبيراً عن المجتمع وما فيه من قيم اجتماعية بالرغم من التعبير عن نفسية الأفراد الذين يعبرون من خلاله؛ لأن الأديب لا يكتب لنفسه مطلقاً، إنما يكتب لمجتمعه الذي هو فرداً فيه، وما يُقال عن فرية الأدب المطلقة غير صحيحة وهي مجرد محض إدعاء؛ لأنه بمجرد أن يمسك القلم يفكر بالقارئ الذي سيقراً عمله الذي يروم له النشر والخلود<sup>(٢)</sup>.

وبذلك يتحقق التواصل الاجتماعي من خلال النصوص التي تنتج أدبياً؛ لأنها سلسلة من الأقوال المترابطة بعلاقات متماسكة تعبر عن دلالات مباشرة وغير مباشرة<sup>(٣)</sup>، وفي الأغلب تكون هذه الدلالات مزدوجة، وبذلك يكون النص الأدبي بؤرة دلالية متنوعة<sup>(٤)</sup>، وهي تتمتع ولا تسلم نفسها بسهولة لأي عابر سبيل؛ إذ تبقى الدلالة أسرار وكل سر يفضي إلى سر آخر، وقد لا يكون السر الأخير سوى لحظة توهم

(١) ينظر: حدود التأويل قراءة في مشروع امبرتو إيكو النقدي: ٩٣.

(٢) ينظر: ما تخفيه القراءة: ١٧٣.

(٣) ينظر: م.ن: ١٧٣.

(٤) ينظر: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة: ٣٤٣.

الذات أنها استقرت على دلالة معينة<sup>(١)</sup>، وهذا لا يمنعنا البحث عن انسجام النصوص، وتكوين كون نصي منسجم ننتقي له دلالة معينة نحتفي بها ونفضلها على باقي الدلالات؛ لأننا نضع لها أسس الانسجام التي تعبر عن النص<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني انتقاء مسارا سياقيا معيناً يقود فعلنا التأويلي إلى تعيين مسارا تأويليا يعين على تحديد الدلالة، ويدفع بباقي المسارات إلى التراجع، على ألا ننسى أن النص دائماً هو يتلبس بطابع من الخفاء، وعلى أن نعلم أن قصد المرسل ( المؤلف ) من حيث القصدية والإدراك قد يختلف عن المقصد والإدراك الذي يتشكل في ذهنية المرسل إليه ( المتلقي )<sup>(٣)</sup>.

## المحور الثاني

### المكان في قصيدة ( غريب على الخليج )

إن التواصل في العادة يتحقق من خلال النصوص التي هي سلسلة من الأقوال يتم التعبير عن المقصد من خلالها، ويستند في معرفتها إلى التحليل النفسي في كثير من الأحيان؛ لأن المواضيع النفسية ذات مساس مع الصراعات الإنسانية والاجتماعية العميقة<sup>(٤)</sup>، والمكان في قصيدة غريب على الخليج هو ليس المكان الواقعي، إنما هذا المكان يتشكل من خلال الكلمات فيتصف بأنه خيالي له مقوماته الخاصة التي تربطه بالواقع، ويبقى وسط مثالي يتصف بطابع خارجية أجزاءه التي يتجدد فيها موضع إدراكنا، وهو بالتالي يحتوي على كل الامتدادات المساحية المتناهية، وهو تساق نظام الأشياء في الوجود ومعيتها الحضورية في تلاصق وممارسة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: م. ن: ٣٤٤.

(٢) ينظر: ما تخفيه القراءة: ١٧٣.

(٣) ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ٣٨٢.

(٤) ينظر السرد في القصص الصوفي: ١٧١.

(٥) ينظر: في مشكلات السرد العربي: ٢٥٠.

والمكان في قصيدة غريب على الخليج مفتوحا ومغلقا يفسر الكثير من الدلالات الاجتماعية والنفسية وإحالتها إلى عالم واقعي أو متخيل<sup>(١)</sup>، وإن تشخيص المكان في نص (غريب على الخليج) هو الذي يجعل أحداث هذه القصيدة بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيته. والمكان في القصيدة يحل محل الديكور والخشبة في المسرح ويلعب الدور نفسه الذي تلعبه هذه المسميات، ومن المسلم به أنه لا يوجد أي حدث أو شخص يحدث هذا الحدث دون أن يحويه مكان معين؛ لذلك الأديب بشكل عام يحتاج دائما إلى التأطير المكاني الذي يعتبر وسطا يشتمل الأشياء<sup>(٢)</sup>، وأحيانا يعتمد الأديب إضفاء صفة التجريد على المكان ليبرز دلالات تتوافق مع أفكاره ورؤاه التي يسعى لإبلاغها إلى متلقيه<sup>(٣)</sup>، والمكان في هذه القصيدة متذبذب ما بين أن يكون حقيقيا وبين خياليا؛ لأنه يرسمه بإحساس وشاعرية تعبر عما يجول في نفسه من خفايا، والسياب بلا شك استطاع تخليق قصيدته بما فيها الشخصيات والأحداث والأماكن على أساسا من التخيل الملخص، وأكسبه ملامحه وديمومته من خلال التماثل مع العالم الحقيقي خارج النص<sup>(٤)</sup>؛ ذلك لاستحالة بناء الشخصية والحدث في مكان لا ملامح له، إضافة كون المكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة ويضاعف التأكيد على تواصلها؛ لذلك يعتمد الشاعر اختيار المكان جزءا مهما في عنوان قصيدته (غريب على الخليج)، ومن هنا يوضح العلاقة الجوهرية بين الإنسان والمكان الذي يرتبط بكيانه وذاته، والذي كثيرا ما يكون مشحونا بالدلالات التي يكسبها المبدع معاني

(١) ينظر: الرواية والتحليل النصي قراءة في المصدر النفسي: ١٣.

(٢) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ١٧٥.

(٣) ينظر: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة: ٣٤٨.

(٤) ينظر: عالم الرواية: ٥١.

تجربته الحسية الخيالية<sup>(١)</sup>. إن العمل الأدبي حين يفقد المكان يفقد خصوصيته؛ فهو يحمل في طياته الخصوصية القومية والوطنية وهو يعبر عن واقعه المعين ويحاول أن يوصله بجوهر عمله الفني<sup>(٢)</sup>، والمكان عند السياب يتحدد بالنظام الذي يحكمه والذي يقصده بطبيعته الخاصة التي كشف عن خلفية عالم آخر يصوره فهو ترتيب للمواضع التي تظهر في قصيدته وكأنه يدلنا مسوغات نظامه واستخدامها، فيصوره بوصفه كمالات متناهيها في المعطى والحال<sup>(٣)</sup>، ويبقى المكان نقطة انطلاق الحدث ومأوى الشخصيات والبؤرة التي تنبثق منها التشكيلات السردية في القصيدة وتستجيب لمتطلبات التفاعل والتأثير المتبادل لاسيما إذا كان المكان إيجابيا في تفاعله<sup>(٤)</sup>، وسندرسه في أنموذجنا ( غريب على الخليج ) بنوعيه المغلق والمفتوح:

#### أولا: المكان المفتوح:

تجسد هذا المكان في القصيدة في ألفاظ معينة، ونجدها محصورة بـ( الخليج، السماء، الرمال التي تعبر عن الصحراء، الفضاء، البحر، الدروب...ألخ) وهي أمكنة لها دلالة أليفة بالنسبة للمبدع وهذا ما سيتضح على النحو الآتي:

١- المدن والقرى: ورد ذكرها في فضاءات سرد القصيدة ( غريب على الخليج ) لتحمل في طياتها دلالات متنوعة تتمثل في حساسيتها المتناوبة في انغلاقها وانفتاحها من جهة، وفي علاقتها بنفسية المبدع من حيث الانتماء واللائنتماء من جهة أخرى وتتفاوت هذه الأماكن من حيث التعبير عن الغربة والحنين للمدن التي هاجر منها ( البصرة ) الشاعر والتي هاجر إليها ( الكويت ) أما مضطرا أو متطلعا مما يؤدي

(١) ينظر: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة: ١١٥.

(٢) ينظر: المغامرة الجمالية للنص الروائي: ٢٠٤.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم النص ومشكلات بناء النص: ٧٩.

(٤) ينظر: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر: ٢٧٤.

إلى شعورا بإحساس الغربة والتغريب الذي يصادفه هناك من حرية أو كبت أو تقييد أو حب أو كره أو ملذات أو حرمان، وهذه غالبا ما تكون جنسية أو خصوصية تلك الأماكن التي تشكلت في نفسية الشاعر قياسا بباقي الأمكنة الأخرى فمثلت هذه الأمكنة المفتوحة ( المدن والقرى ) البؤرة الحركية لأنها مجال الصراع الذي ينبثق منها<sup>(١)</sup>.

إن هذه الأماكن تقيم بأنها محور الصراع وقصد الفعل وهدف التحول المنشود، وغالبا ما تأتي المدن المعرفة على صعيد التنمية الواقعية والمناخ الاجتماعي على أن هناك مدن تأتي من غير تسمية تحددها سمات معينة<sup>(٢)</sup>، فأغلب أبيات هذه القصيدة تتحدث عن هذا المغزى<sup>(٣)</sup>:

لو جئت في البلد الغريب إلى ما كمل اللقاء!

الملتقى بك والعراق على يدي هو اللقاء!

شوق يحضن دمي غليه كان كل دمي اشتهاه

من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك يا عراق

.....

وصف الشاعر هذه الأمكنة في سرد أبيات القصيدة ليحاكي إحساس المتلقي ويرسم معنى الاشتياق والإحساس بالغربة اللذين يعبران عن الحالة النفسية التي أهلكتها حالة الاشتياق والضياع الذي تشعر به نفس المبدع الذي حاول التعبير عن هاجسه الذي أتعبه كثيرا، فلجأ إلى تجسيد هذه الأحاسيس في أبياته الشعرية ليعكس حالة

(١) ينظر: الفضاء الروائي: ١٩١.

(٢) ينظر: م.ن: ١٩١.

(٣) الديوان: ٣٢٠.



الغربة والشعور المؤذي الذي نتج بسببها فولدت هذه الحالة الاشتياق لأرض الوطن، فكانت روحه بهذا أشبه بطير يحوم فوق عشه دون إن يستطيع النزول إليه بسبب الموانع التي تعترضه، وتجعله في شتات بين تلك المواضع، وهذا ما يشبهه قول المبدع<sup>(١)</sup>:

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغربية

غنيت تربتك الحبيبة

وحملتها فأنا المسيح يجري المنفى صليبه

فسمعت وقع خطى الجياع تسير، تدمى من عثار

فتذر في عيني منك، ومن مناسمها، غبار

.....

هذه الأبيات تشي بالمسافر الذي يهتز طربا وهو ما زال مشتتا داخل وخارج تلك المدن التي أطل من خلال نافذة الخليج على مشارفها واعتدل بجسمه متحفزا ليشاهد تلك المدن وأبنيتها ذات التصميم الهندسي الذي ما يزال عالقا في ذهنه خيالا ناصع البياض رغم تلك الأوجاع التي عبر عنها من خلال سير الجياع الذين يتعثرون بمشيهم؛ لكثرة الأسى جراء المآسي التي عانوها بسبب الفقر الفاحش الذي تملك كيانه المعيش، فلم يروا غير الغبار الذي يبحثون فيه عن الأمل، لكن لا أمل فيه غير الأسى والنظر في نفقه المظلم الذي بطنه الظلم الذي ولد الحرمان المطبق على صدره، فلم يبقى له سوى الأسى الذي يسببه له الشوق والحنين.

٢- الشوارع ( الدروب): إن الطرق في قصيدة ( غريب على الخليج ) رمز لمجال كوني مفتوح، ولفضاء حركي عائم الحركة بلا قيود، وربما يحمل اسما معيناً؛ ليدل

على حضوره الثقافي، وربما يكون رمزا لكل شيء يعبر عن الحرية، وهو من الفضاءات التي ينطلق فيها الإنسان حرا إلا من القيود والأعراف الاجتماعية المتعارف عليها، التي لا تستطيع الأيدي كسر قيودها ولا تستطيع العقول أن تعبر كل حدودها في بحثها عن الحرية، إلا أن الكاتب دائما يبحث عن الشيء الذي يحقق أنانية الأنا وذاتيتها، فيشكل فضاء الشارع من خلال صور المدينة التي تستوي بوصفها أرضية تسير الحراك الشخصي على أديمها فالمدينة أحياء سردية كثيرة شبكة من الشوارع تقود وتؤدي وتنتهي بأسلوب ينهض أساسا على طبيعة الحدث المتحرك عليها<sup>(١)</sup>، إلا أن هذا الشارع ظهر في قصيدة (غريب على الخليج) طريقا مفتوح في كون فضائي مفتوح يوازي سعة الخليج الذي يجلس على ساحله الغريب الذي طالما تمشى فيه فالطريق بلا شك في هذه القصيدة يوازي الساحل، ومن ذلك<sup>(٢)</sup>:

في لحظتين من الزمان، وأن تكون فقدت مكانه

هي وجه أُمي في الظلام

صوتها يتزحلقان مع الرؤى حتى أنام

وهي أخاف منه إذا أدلهم مع الغروب

فاكتظ بالأشباح تظن كل طفل لا يؤوب

من الدروب

وهي المفلية العجوز وما توشوش من زحام

.....

(١) ينظر: المغامرة الجمالية: ٨.

(٢) الديوان: ٣١٨.

تمشى السياب في هذا الطريق الذي يحاول نقل تفاصيله ومشاهد وملامح مرَّ بها، وقد طرب لما رأى من أشعة الشمس، وقطرات الندى التي انتشرت في الفضاء المفتوح الذي عهده الشاعر ورقص قلبه بين جنبيه عندما عادت مشاهدته إلى مخيلته، فحاول تصويرها من جديد ليهرب إليها عله يجد فيها أنسته التي فقدتها في غربته.

٣- البحر: هذا المكان شكل مهرباً آخر يلجأ إليه الشاعر كلما ضاقت به الفضاءات التي يعيش فيها، فطالما لجأ إليه حين تنقل الهموم على صدره، ولما أراد للأمل متنفساً، وبهذا يجعل من البحر واقعا يتنفس فيه، ويعوض فيه كل النقص الحاصل في واقعه الحقيقي، وهذا ما يفصح عنه الشاعر في أبياته<sup>(١)</sup>:

الريح تلهث بالهجير، كالجنّام على الأصيل

وعلى القلوع تظل تطوى أو تنتشر للرحيل

زحم الخليج بهن مكتدحون جو أبو بحار

من كل حاف بهن عاري

وعلى الرمال، على الخليج

جلس الغريب، يسرح البصر المحير في الخليج

ويهدي أعمدت الضياء بما يصعد من نشيج

أعلى من العباب يهدر رغبة من الضجيج

.....

نلاحظ المكان المفتوح في أبيات الشاعر جاء مجسداً لفضاء الحرية الذي يفتقده في تفاصيل حياته اليومية في الغربة؛ لذلك لجأ إلى الجلوس على شاطئ الخليج الذي شكل له مهرباً من الضيق الذي يشعره ويحسه واقعه المعيش، ووجد في رمال ساحل

الخليج خير أنيس في وحشته التي خلفتها له غربته، فأخذ يسرح ببصره المحير ليجد من بعد النيه جادة الصواب، الذي يهديه إليه أعمدت الضياء التي تتبثق في خياله وذهنه، فهو بذلك متطلع لهدفه في العودة لبلده الذي يشنقه وحين إليه كل وقت وحين، وهذا ما يرشد إليه استعمال الشاعر للأفعال المضارعة في أبيات قصيدته، ويبقى البحر في (غريب على الخليج) من الأماكن المفتوحة التي أعطت للشاعر حرية الحركة والتأمل والحلم؛ فالبحر بالنسبة له متنفس وملاذ يمكنه أن يأوي إليه ويأنس به<sup>(١)</sup>، وهو المكان الذي يحمل دلالات إنسانية ورمزية ونفسية، فهو يجسد أحلام صاحبه، ويجسد همومهم وطموحاتهم، وقد دخل البحر كمكان في تولدات التغيير والتحول الاجتماعي والثقافي، وحين يتم الانسجام والتفاعل الجميل بين الإنسان والمكان، فإن هذا الانسجام يؤسس وجداناً وشعوراً، ويشعل فتيلاً من الحب والتعاضد بينهما<sup>(٢)</sup>، والحديث عن المكان المفتوح يتجدد في مقاطع مختلفة من القصيدة<sup>(٣)</sup>:

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون

والبحر دونك يا عراق

.....

من هنا يتضح أن المكان لم يعد ممثلاً للإطار الذي تجري فيه الأحداث والذي تتصارع فيه الشخصيات فقط، بل اكتسب سمات الشخصية الحية للمبدع، ولذلك تم تحديد المساحات المكانية بمدى عمق ارتباطها النفسي بشخصية المبدع، ومن هنا أكسب المبدع مكانه صفات خيالية على خصائصه فنية، وقد أصبح جزءاً من التجربة

(١) ينظر : المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة): ٣٦١ .

(٢) جماليات المكان في ثلاثية حنامينة (حكاية بحار ، الدقل ، المرفأ البعيد): ١١٥

(٣) الديوان: ٣١٨.

الذاتية له، بعد أن فقد صفاته الواقعية، وارتبط ارتباطاً باللمحة النفسية التي مر بها المبدع فيضيق أو يتسع أو ينهار في ذهنه بحسب الذي تمليه أمزجته المتباينة؛ لذلك جاءت قصيدة الشاعر حاملة لملامح المكان وتقلباته، فكانت بحق امتداداً له؛ لأن المكان له أهميته في صياغة الكائن على مستويات مختلفة، كالأفكار، التصورات، السلوك، وبذلك يكتسب المكان بعداً اجتماعياً ونفسياً ويرتبط بمبدعه في النص قبل كل شيء، فكان عنصراً أساسياً في عمله على مستوى التشكيل والدلالة، ومن هنا أصبح المكان في غريب على الخليج حاضنة نفسية لذات المبدع الذي حول عمله إلى دلالات نفسية ورمزية، فجاء المكان في هذه القصيدة قادراً على التأثير في تصور المتلقي له؛ لأن التفاعل بين العين المتلقية والمكان شيء دائم ومستمر.

#### ثانياً: المكان المغلق:

تنوعت طبيعة المكان في قصيد غريب على الخليج، وكما استحضر الشاعر المكان المفتوح استحضر المكان المغلق الذي يكون الحديث عنه هو الحديث عن الأمكنة التي لها مساحات محددة، كالببوت والقصور والسجون والغرف والمقاهي وسوى ذلك، والمكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يؤوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين؛ لهذا فهو المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان عنصراً فنياً وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدا التآلف الذي يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يشغله<sup>(١)</sup>، وإن علاقة الشخصية المبدعة بالمكان المغلق تتكشف عن طريق مستوي التداخل أو الانفصام بينهما مهما كان هذا المكان خاصاً أو عاماً، ضيقاً أو مفتوحاً،

(١) ينظر: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة: ٤٤.

فكلا منهما يحفر ويؤثر في الآخر وهذا ما ينتج انعكاسات نفسية متبادلة، ومن خلال ذلك يمكن إدراك عمق المكان في حياة المبدع<sup>(١)</sup>.

ويظهر الأثر نفسيا بالتركيز على إظهار الأمكنة في نصه وإظهار الصفات التي تمتاز بالثبات النفسي على الرغم من التغيرات التي تجري في المحيط من حولها، وذلك كله يعكس أقوال وأفعال وأحوال المبدع في نصه الأدبي، وقد شغل المكان المغلق حيزا مهما في (غريب على الخليج) مثلما ذكرنا سابقا، وسننتبع تلك الأمكنة التي حفرت أخاديد في دواخل نفسيته كما أشرها نصه الشعري ك (المقاهي، والأسطوانة، وسوى ذلك)، وسنحاول دراسة تأثيرها على نفسية الشاعر وتحديد خصوصية المكان على حدة، وإذا استطعنا التفريق بين أنواع الأمكنة وفق الانغلاق التام أو الجزئي، فإنه يمكن رصد ما تعانيه تلك الشخصية في ذلك المكان فالإنسان بالتالي يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ويخضع لقوانينها وتقلباتها سواء كانت إيجابية أو سلبية، وقد تمثلت صور هذا المكان<sup>(٢)</sup>:

صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى: عراق

كالمد يصعد كالسحابة كالدموع إلى العيون

الريح تصرخ بي: عراق

والموج يعول بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون

والبحر دونك يا عراق

بالأمس حين مررت بالمقهى، سمعتك يا عراق...

(١) ينظر: شعرية المكان في الرواية الجديدة ( الخطاب الروائي لإدوارد الخراط نموذجا): ١٠٤.

(٢) الديوان: ٣١٧.

### وكننت دورة أسطوانة

هي دورة الأفلاك من عمري، تكور لي زمانه  
في لحظتين من الزمان، وإن تكن فقدت مكانه  
هي وجه أُمي في الظلام  
وصوتها ينزلقان مع الرؤى حتى أنام؛  
وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهم مع الغروب

.....

برزت الأسطوانة في أبيات الأشعار كأصغر وحده مساحية يمكن للإنسان أن يتخيل نفسه في داخلها، وبهذا ظهر دور المكان وعلاقته بالحدث الذي يُراد التعبير عنه، فجاء المكان عنصراً أساسياً من عناصر هذه القصيدة، وهو العنصر الأخير منها بل يمكن عده: ((العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية السابقة، الزمان، المكان...))<sup>(١)</sup>، ولا يمكن فصل الحدث عن باقي العناصر الفنية الأخرى، وهو الذي يعتمد بناؤه على الوحدة الفنية التي تعني ((وحدة المواقف والقيم والشخصيات الفنية، بل وجميع التفاصيل التي تستطيع أن تكون الحدث الفني))<sup>(٢)</sup>، والتجارب الواقعية زاخرة بالأحداث التي تكون مادة خام في أي عمل فني يختلف تماماً عن الحدث الواقعي وإن أخذ أساساً من الواقع، فالشاعر يختار ما يناسبه من التجارب الواقعية ثم يضيف أو يحذف حسب خياله الفني، مما يجعل أحداثه مبرزة وظاهره بشكل مؤثر، وهذا الحدث مرتبطاً بالمبدع، فالحدث الذي يعبر عنه وبقيّة العناصر المتوافرة في القصيدة ليست

(١) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق: ٢٧.

(٢) النهايات المفتوحة: ٣٩.

مجرد ديكور بل هي تمارس فعلا وتؤكد حدثا يُراد إيصاله بشكل متكامل في ظل الصراع الذي يعاينه المبدع.

هكذا ساهم المكان المغلق في اكتشاف الحياة النفسية العميقة لمبدع النص، وأظهر كل الصراعات النفسية المتولدة في ظل الغربة ومعاناتها، إذ أنها تنشأ في فضاء نصي يمثل الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه نفسية المبدع ملتبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بعوامل نفسية داخلية<sup>(١)</sup>، وكلما كانت هذه الأسباب نشطة ارتقى الحدث ليمثلها نشاطا وحيوية، فلا يقل المكان أهمية عن الحدث في ارتباطه بنفسية المبدع، فالمكان يرتبط بها ارتباطا قويا، فهو قوة فاعلة ومؤتمر في حياة الشخص وتزداد أهمية المكان بوصفه الإطار الذي يشتمل على العناصر الفنية، ولاسيما الحدث، لهذا هو يرسم الأحداث والشخصيات في العمق، ويترك أثرا واضحا في البنية النفسية والفكرية على وجه الخصوص، لأن سلوك الشخصية نفسيا يعتمد على المكان الذي توجد فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ١٢.

(٢) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ١٨.



### المحور الثالث

#### تجليات المكان النفسية في قصيدة (غريب على الخليج)

يبقى الشعر أدب اجتماعي وفق التعبير عن والمواقف الاجتماعية من خلال الفرد بكل إسقاطاته وتجلياته إيجابياته أو سلبياته<sup>(١)</sup>، وهو بالتالي يعبر عن مخزن النفس الإنسانية وما فيها من هموم ومصاعب إلى جانب الأحلام والآمال والتطلعات والغايات والطموح والرغبات، وهو في حدود تشكله لجمالي ملزم بكل هذا من أجل الوصول إلى حالة إشراق تخيلية تتوافر على طاقات تعبيرية صادقة للتمثيل والتحليل والتصوير<sup>(٢)</sup>. إن هناك أنساق معينة تتحكم بمتعلتها، ونحن بلا شك نستمتع وفق لمقاييس اجتماعية معينة؛ لأن الشعر موضوعه حياة الإنسان يبرز العلاقات الاجتماعية والنفسية في المجتمعات الإنسانية من خلال صراع الإنسان مع الطبيعة التي يسعى إلى تطويعها لخدمته، والأدب والفن يعبران عن الطبقات الاجتماعية المترابطة بتطور ذلك المجتمع، والأدب بشكل وآخر يحاول أن يكون انعكاساً لأوضاع تلك الطبقات<sup>(٣)</sup>، فماذا يعني أن يكتب الإنسان ولاسيما الشاعر، وما حاجته إلى الكتابة؟ وما الدوافع والأسباب إلى ذلك؟ إذا لم تكن الحاجة النفسية هي الهدف للتعبير عما يجول بداخله؛ ولذلك يقوم بتركيب تلك العناصر في نصه الشعري، فكان وما زال الأدب يعبر عن هموم الإنسان وتطلعاته النفسية تجاه نفسه وتجاه العالم الذي يعيش فيه، فالأدب ((علم يشمل أصول فن الكتابة، ويُعنى بالآثار الخطية والنثرية والشعرية، وهو المعبر عن حالة المجتمع البشري، والمبين بدقة وأمانة العواطف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس

(١) ينظر: جماليات التشكيل الروائي: ٢.

(٢) ينظر: م. ن: ٢.

(٣) ينظر: ما تخفيه القراءة: ١٦٤.

أو أهل حضارة من الحضارات))<sup>(١)</sup>، ولذلك وضعت الكثير من النظريات والفرضيات التي أصبحت فيما بعد مرجعا لكثير من الدراسات التي تعتني بالجانب النفسي للأدب والذي لا شك فيه أن العنصر النفسي أصيل في الأدب، الذي هو استجابة لمؤثرات نفسية معينة<sup>(٢)</sup>.

إن علاقة علم النفس بالأدب تمتد إلى العصر اليوناني منذ زمن الفلاسفة في تلك الحقبة أمثال (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، فقد كان أكثر اعتناءً بالجانب النفسي للأدب، أما أرسطو فقد اشتهر بنظرية (التطهير)\* وكانت تركز على أفعال الشخصية وتأثيرها نفسيا في أذهان الجمهور، وهناك من يقول بأن النقد الأدبي قد قام على أسس نفسية، وهم يشيرون بذلك للتطهير أي الأثر النفسي الذي يتركه الشعر في المتلقين<sup>(٣)</sup>.

وقد تُطرق إلى علاقة اللغة بالفكر والأدب، من الجانب النفسي؛ وقد يكون مجرد النطق بالكلمة يدل على شيء ما، فيحدث في الفكر حركة ما، وهذه الكلمات رموز لمعاني الأشياء، أي رموز لمفهوم الأشياء الحديثة أولاً، ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس؛ فهي رموز لحالات نفسية، التي هي مادة الفكر، فالصوت اللغوي وظيفة عقلية لها دلالاتها للكلام النفسي الداخلي<sup>(٤)</sup>، وبقي هذا الاتجاه سائداً على مرّ العصور، ووضعت الكثير من النظريات والدراسات في هذا المجال، وتم فعلاً

(١) المعجم الأدبي: ٣١٦

(٢) ينظر: مناهج النقد الادبي الحديث (رؤية اسلامية): ٥٤.

\* (التطهير) وهي في المأساة وتتم بواسطة حكاية تثير الشفقة والرحمة والخوف فتؤدي الى التطهير في هذه الانفعالات، ينظر: النقد الأدبي الحديث / هلال: ٦٥.

(٣) في نظرية الادب: ١١١.

(٤) ينظر: النقد الادبي الحديث، هلال: ٤١

الاعتناء بالجانب النفسي أهمية بالغة؛ للكشف عن العوالم والهواجس والانفعالات الداخلية تجاه المواقف المختلفة، كما ازداد اهتمام النقاد والشعراء الرومانتيكيين بعد ذلك بهذا الجانب النفسي في كتاباتهم<sup>(١)</sup>، ونلاحظ أن الأدب يسير بخط موازٍ للاتجاه السيكولوجي منذ القدم وهذا ما أقره الكثير من النقاد<sup>(٢)</sup>.

وإن ظهور البعد الدلالي عادة يكون نتيجة المقاربة التي كانت وما زالت يُعتقد أن في أغلبها نتيجة لصراعات وتقلبات نفسية محددة تظهر بسمتها من خلال الفعل التأويلي القادر على النظر في كل معطيات الموضوع المباشرة والغير مباشرة<sup>(٣)</sup>، وهذا يتطلب ثقافة رصينة واعية مثبتة عند التأويل مبتعدة عن الحرفية الكلامية، ويبقى النص الشعري بشكل عام إنزياح عن النمط التعبيري المتواضع عليه، فيكون بذلك خروج عن السنن اللغوية، فيحمل بذلك أكثر مما في ظاهره<sup>(٤)</sup>، ومن هذا<sup>(٥)</sup>:

مازلت أضرب مترب القدمين أشعث في الدروب

تحت الشموس الأجنبية

متخافق الأطمار أبسط بالسؤال يدا ندية

صفراء من ذل حمى: ذل شحاذ غريب

بين العيون الأجنبية

بين احتقار وانتهار وازورار أو (خطيه)

والموت أهون من (خطيه)

(١) ينظر: الدراسات النفسية والادب/ العددان ٣+٤ مج ٢٣، ١٩٩١، ٢١٣

(٢) الادب وقضايا العصر: ٤٦ .

(٣) ينظر: ما تخفيه القراءة: ١٦٤.

(٤) ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال: ٣٧٥.

(٥) الديوان: ٣٢١.

من ذلك الإشفاق تعصره العيون الأجنبية

قطرات ماء معدنية!

فلتتطفي، يا أنت يا قطرات، يا دم يا .. نقود،

تعتبر النصوص بؤرة دلالية متنوعة تعبر عن وجهة نظر متعددة يوحى بها النص، والدلالة النفسية هي التي تبرز في سطحه بشكل جلي واضح من خلال استحضار المعطيات المتواجدة في النص الشعري الذي يجسد إحساس المبدع بالمعاناة والحزن اللذين يحاول الانعتاق منهما من خلال أبياته الشعرية التي شكلت له مهرباً من واقعه المأزوم والمحزون،، وهذا العالم الغريب المعقد، الذي هرب منه يكشف لنا عن الصراع الداخلي النفسي الذي يعيشه المبدع غير ظاهر للعيان، إلا أشعاره التي أظهرت ما يقوم به المبدع من تصرفات تجاه المواقف المختلفة في الحياة، ومن هنا ظهرت خفايا أحاسيسه وعلاقتها بالآخرين، وبهذا كانت التجليات النفسية تعبر عن الشخصية المبدعة التي يمكن عدها من أهم الموضوعات الرئيسية في النص كله.

وإن إعطاء هذه الشخصية الفرصة للتعبير عن نفسها وما يدور بداخلها وبيان فلسفتها، يعطي للقارئ دافعية التواصل الفعلي للقراءة، وتتكشف له الكثير من زوايا النص الروائي، ولهذا فإن الشاعر يترك شخصيته تتطور حسب هواها، وتختفي فجأة و تجره إلى مغامرات ولقاءات غير متوقعة<sup>(١)</sup>، وهذا له دور كبير في ((الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلها))<sup>(٢)</sup>.

(١) عالم الرواية : ١٤٨

(٢) قراءة النص الادبي ( مدخل ومنطلقات ) : ٧٦.

## الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا وجدنا أن المكان في ( غريب على الخليج ) عنصرا أساسيا؛ لأنه يعكس تحركات المبدع النفسية والجسمية في فاعلية الأحداث التي ظهرت في القصيدة، فكان ضرورة مهمة للانطلاق نحو تحقيق الكينونة الذاتية من خلال العمل الفني، وكان الأثر النفسي في أبياته شديد الوضوح، وقد عمد السياب في أبيات غريب على الخليج إلى التصوير النفسي الذي يُظهر ثقل الزمن النفسي على نفسيته، ودورها في إبراز والإحساس الداخلي بثباته وعدم حركته، وهذا يعطي للمتلقي إحساس بحركة المكان وثبات الزمان، ومن هنا استطاع الكشف عن تأثيرات الزمكان في ذهنه؛ لما يحمله من وقائع عايشها المبدع من الماضي إلى الحاضر، مما يجعلها في حالة نفسية متأزمة دائما. ظهرت الغربة المكانية بشكل واضح في أشعاره إلا أن هذا الظهور حمل في طياته شعور الاغتراب النفسي الذي تشي به كل الكلمات والحروف التي نزلت ألم المعاناة النفسية فشكلت معاني غريب على الخليج المعبرة عن الأسى بتفاصيل الغربة والاعتراب. المكان بنوعيه المفتوح والمغلق عبر عن الحالة النفسية للمبدع المشتت بين الانحباس والانغلاق والبحث عن الحرية والانعقاد في فضائها الرحب، ويحاول الانفلات من الواقع المزري من خلال إطلاق اليد والبصر في الفضاء الواسع من الحرية فتكتحل عيون المبدع بأنوارها ويقيد يديه بأسوارها. استطاع السياب استلهم التجربة الإنسانية وتوظيفها في أبياته الشعرية للكشف عن خارطة الإنسان الداخلية، وما حصل فيها من انفعالات وأحاسيس وهواجس خفية لا يدركها إلا المبدع نفسه، ووظف عناصر قصيدته من وزن وقافيه متعددة، للتعبير عن البعد الخارجي والداخلي نفسيا وفكريا .

### مصادر البحث

- الأدب وقضايا العصر، ترجمة عادل العامل، مجموعة مقالات نقدية، دار الرشيد للنشر - العراق، د.ط - ١٩٨١.
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط ١ - ١٩٨٨.
- بنية السرد في القصص الصوفي - المكونات، الوظائف، التقنيات، د. ناهضة عبد الستار، دمشق، د.ط - ٢٠٠٣م.
- جماليات التشكيل الروائي، د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، الحوار - سورية، ط ١ - ٢٠٠٨م.
- جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا ( حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد )، مهدي عبيدي، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، ط ١ - ٢٠١١.
- حدود التأويل في مشروع أمبرتو إيكو النقدي، وحيد بو عزيز، الدار العربية للعلوم - الاختلاف - الجزائر، ط ١ - ٢٠٠٨م.
- الدراسات النفسية والأدب، شاكر عبد الحميد، مجلة عالم الفكر، العددان الثالث والرابع، م.ج الثالث والعشرون - ١٩٩١.
- ديوان بدر شاكر السياب، العودة - بيروت، ط ١ - ٢٠٠٠.
- الرواية والتحليل النصي، حسن المودن، الدار العربية للعلوم ناشرون - الرباط، ط ١ - ٢٠٠٩م.
- شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، فتحي بو خالفة، عالم الكتب الحديث - الأردن، ط ١ - ٢٠١٠م.

- شعرية المكان في الرواية الجديدة ( الخطاب الروائي لإدوارد الخراط أنموذجا)،  
خالد حسين حسين، كتاب الرياض ٨٣، يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية،  
١٤٢١هـ.
- عالم الرواية، رولان بورنوف، وريال أوئيليه، ترجمة نهاد التكرلي، مراجعة فؤاد  
التكرلي، ومحسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة\_ بغداد، ط١- ١٩٩١.
- فرضية الإنسان وعلم النفس من العهد اليوناني إلى العهد المعاصر، محمد زيعور،  
الهادي- بيروت، ط١- ٢٠٠٧م.
- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية-  
بغداد، ط١- ٢٠٠١م.
- في الطريق إلى النص، د. عبد الواسع الحيمري، المؤسسة الجامعية-  
بيروت، ط١- ٢٠٠٨م.
- في مشكلات السرد الروائي، د. جهاد عطا نعيصة، اتحاد الكتاب لعرب-  
دمشق، د.ط- ٢٠١٠م.
- في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-  
بيروت، ط١- ٢٠٠٥.
- قراءة في النص الأدبي ( مدخل ومنطلقات)، نضال محمد فتحي الشمالي، دار  
وائل للنشر، ط١- ٢٠٠٩.
- ما تخفية القراءة، دراسة في الرواية والقصة القصيرة، ياسين النصير، ناشرون-  
الرباط، ط١- ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، د. زتيسلاف واورزنيك، أ.د. سعيد  
بحري، المختار، ط١- ٢٠٠٣.

- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطالبة،  
الانتشار - بيروت، ط١ - ٢٠٠٨م.
- المغامرة الجمالية للنص الروائي، أ.د. محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث -  
الأردن، ط١ - ٢٠١٠م.
- المكان في الرواية العربية ( الصورة والدلالة)، عبد الصمد زايد، دار محمد علي -  
تونس، ط١ - ٢٠٠٣.
- مناهج النقد الأدبي الحديث ( رؤية إسلامية)، وليد قصاب، دار الفكر العربي،  
ط١ - ٢٠٠٧.
- نظرية النص من بنية المعنى إل سيميائية الدال، د. حسين خمري، الاختلاف -  
الجزائر، ط١ - ٢٠٠٨م.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، دار الثقافة - بيروت،  
د.ط - ١٩٧٣.
- النهايات المفتوحة ( دراسة نقدية في فن إنطوان تشيكوف القصصي) شاكر  
الناقلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط٢ - ١٩٨٥.